في ظلال كرمة ابن هانئ

« للاستاذ شفيق بك جبري »

—((●))—

يا كرمة ذويت فيها أمانينا ... لا الظل ضاف ولا الافنان تندينا

يا نائح الكرمة الولهى ظلائلها ... سقت غصونك أجفان الشجينا

كانت لياليك بيضاً في دجنتها ... يرف فيها الهوى ريان مجنونا

ماضاع عمرك الا في مضاحكه ... ولا تمليت الا الخفض واللينا

لاهٍ عن الدهر مشغول بناعمة ... من الشبيبة في أفياء لاهينا

يا عيشة في حمى اللذات فيأها ... سكر الهوى والغواني والخليينا

ملأت جانبها لعباً وتسلية ... خير الليالي التي باتت تسلينا

وما الحياة اذا طالت مسافتها ... وانت تدرجها ولهان مشجونا

فما أُبالي وعين الموت ساهرة ... أعشت عشرين أم عشت الثمانينا

* * *

قم ناج كرمته واسأل منابتها ... اما على مصر غريد يغنينا

قد كنت بلبلها في عز نهضتها ... وفيتها الحق في رأس الموفينا

جعلت تمثالها شعراً تميس به ... أبقى على الدهر من آثار «آمونا»

وحي من الله لم يهبط على ملأ ... من الف عام ولم ينزل مثاوينا

دم الجهاد على عطفيه منسجم ... يريك في ثورة النيل الميادينا

يخلد النهضة الميمون طالعها ... في ظل قوم على الجلى ميامينا

غنيت بالنيل في شجو يباكرنا ... على الكنانة أو عيد يغادينا

صغت القوافي له في كل نازلة ... محبوكة الوشي من وشي اليمانينا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لما نفوك عن الاهرام رق لها ... واف يناجي ذرى الاهرام محزونا
فما سلوت ظلال النيل في بلد ... أرخى ظلالته يسرى أمانينا

* * *

يا ناظم الشرق في شعر يطاف به ... على حمى الشرق روحاً أو رياحينا
قد كنت تعزية الاسلام في ألم ... يشتد حيناً وتطويه الاسا حينا[1]
كم نوحة لك في خطب أُصيب به ... يخف في نغمها جرح المصابينا
ما زلت تدفع عنه كل عادية ... حتى تمزق لا دنيا ولا دينا
مستعبد في ربوع كان سيدها ... ومستضام بايدي الأجنبيينا
في كل ناحية عسف يهدمها ... تكاد تطفح بالشكوى نواحينا
أين الخلافة في الاسلام مشرقة ... تلقي على هامة الدنيا التحاسينا
مشت لها الارض وانقادت لطاعتها ... فما ترى فوقها الا مذاعينا
يا صرخة في شتات الترك صادقة ... تكاد تسمع في الترب السلاطينا
بكيتهم في مصاب هد جانبهم ... على أدرنة يضنيهم ويضنينا
تلك المناكر ما زالت فظاعتها ... ملء الخواطر والانظار تدمينا
وصفت آثارها في أُخت أندلس ... وصفاً يهجن اهل الغرب تهجينا
بينا نراهم على سلم ملائكة ... نلقى الرجال على حرب شياطينا
أضحت حضارتهم غشاً ومكذبة ... فعل الذئاب وأقوال النبيينا
ما زلت أُحسن ظناً بالذي زعموا ... حتى أسأت بدعواهم أظانينا
هذي الظواهر لم تصدق بواطنها ... أمست على الدهر سراً في عواديا

* * *

يا ويح قلبك لم تهدأ جوانبه ... عن عبد شمس ولم تهدأ جوانينا
أملت عليك بقاياهم بأندلس ... مخلدات القوافي في أمالينا
بنوا وهدمت الأيام بنيتهم ... وكم بناة لهدم ما يبنونا

(١) — جمع أسوة وهو ما يتعزى به الحزين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ملك شتيت وتيجان مبعثرة ... لم يبق من عزها الا تأذينا
شفتك منهم قصور فنها عجب ... يكدن بعد انحدار الملك يهوينا
كانت لنا في خوالي الدهر تهنئة ... فأصبحت في بواقيه تعازينا
لمست فيها عظات الدهر دارجة ... على بقايا رسوم من أمانينا
مشت عليها الليالي في شدائدها ... فبدلت عزها الوضاح تهوينا
فلا القصور قصور ان نزلت بها ... ولا الملوك اذا ناديت واعونا
حلم مرحنا به حيناً وتمنية ... ظلت على زحمة الاحقاب تشجينا
يا وقفة في ظلال الطلح تسألها ... نشجى لواديك امنأسى لوادينا (١)
ناجيت نائحها نجوى هززت بها ... تلك الرياحين حتى كدن يبكينا
فأين في الطلح تيجان تظلله ... وأين فيه سلاطين يحامونا
بعثت فينا هوى الماضي وروعته ... والنفس تهتز من روعات ماضينا
تكاد تلمس جنبيه أناملنا ... اذا وصفت فتدنيه وتدنينا
على نشيدك من تخليده صور ... زهت حضارتنا فيها أفانينا
في كل ناطقة فن يفرحنا ... وكل هامسة سحر يبكينا
صحائف خلدوا فيها مناقبهم ... فهل ترى بعدها الا عناوينا
كنا معاني في الأحقاب لامعة ... مضت وما بقيت الا أساطينا

* * *

يا دمعة لك في الفيحاء هيجها ... ملك لمروان مغصوب يناجينا
غنيت بالملك والتيجان هاوية ... حتى لمسنا مهاويها بايدينا
فأين مسجدك المحزون تسأله ... هل قام مروان في حشد المصلينا (٢)
وابن من عبد شمس سادة درجوا ... عالين كالشمس لا عاباً ولا هونا

(١) إشارة الى قصيدته الاندلسية رحمه الله :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا ... نشجى لواديك أم نأسى لوادينا

(٢) إشارة الى قصيدته في دمشق التي يقول فيها :

مررت بالمسجد المحزون أسأله ... هل في المصلى أو المحراب مروان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هجت العروبة في أفياء غوطتنا حتى حنونا عليها عبشميينا
بعثتها في الحمى من بعد هدأتها حيناً من الدهر نطويه ويطوينا
نامت خواطرنا عنها فأيقظها سحر القوافي فجاشت في أغانينا
من بعد ما ذهبت عنا خيالتها حنت الينا خيالات تناغينا
ذكرى أُمية لم تبرح حواضرنا لما بكيت ولم توحش بوادينا
ناجيت جلق في وحي تردده على اعتلاج الأذى فيها مغانينا
على بيانك وشي من خمائلنا وفي قوافيك طيب من روابينا
لم تنس نكبتها والله حارسها لما صبغنا ثرادا من أضاحينا
هبت تحيتك الريا تموج بها صبا الاصائل في ريان نادينا (١)
فضج كل أبي من شكائمنا وثار كل كريم من تغاضينا
غمزتها غمزة هزت جوانبها فانصاع في غفية الأجفان غافينا
قصائد بدم الأحرار مائجة من وحي جلق نعليها وتعلينا
مغموسة في نجيع من حصائدنا مصبوغة بصباغ من مواضينا
فيها من الثورة الحمراء أمثلة تمثلت في مجاليها معالينا
تلكم أمية كرمنا منازلها فلن ترانا عليها مستذلينا

***

يا بنت فرعون والأشجان مائجة هلا صبرت وبعض الصبر يسلينا
لو كان يشفي رثاء في ملمتنا صغنا الجوانح شعراً في مراثينا
يكفي النعي خلود في قلائده هذا الرثاء الذي أعيا قوافينا
فنم على الدهر شوقي في هواجسنا مورف الظل لا نامت لياليا
العبقريات في الدنيا مخلدة ومن يسد سبيل العبقريينا
ما كان خطبك الا أمة درجت وقد يعادل شعر أمة فينا
هذي أُمية لم تهدأ وساوسنا على دمشق ولم تنشف مآقينا

(١) إشارة الى قصيدته التي حيا فيها دمشق :

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net